٥- خروج الأمر إلى معنى التعجيز والتبكيت:

إذا توجَّه الأمرُ إلى مَن لا قُدرةَ له على تنفيذه، ولا طاقةَ له على الإتيان به، فإنَّه حينئذٍ لا يُحمل على حقيقته؛ لأنَّ التكليف والإلزام لا يُؤمر به إلَّا المستطيع القادر، وإذا جاء على هذه الصيغة أو الصورة فإنَّه يخرجُ عمَّا وُضِعَ له، أي إنَّه يُفيدُ إظهار العجز، ومن ثمَّ يتضمن خلاله التبكيت والتقريع والتعنيف وما شابه، فمن التعجيز ما جاء في قوله-تعالى-: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[البقرة:٣١]، ففعل الأمر(**أَنْبِئُونِي**) أمرُ تعجيزٍ، مع لفتهم إلى النظر في حالهم والتفكر في ما هم فيه من عجزٍ وضعفٍ أمامَ قُدرةٍ وعلمِ اللهِ-تعالى-، الذي لا تُحيط بكنهه السماواتُ والأرضُ.

وعلى النسق السَّابق في بيان غرض التعجيز والتبكيت جاء الأمرُ في قوله-تعالى-:﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[الأحقاف:٤]، فالفعل(**ائْتُونِي**) والذي قبله يأمر به-تعالى- المشركين أن يأتوا له بكتاب جاءهم من عِنْدِ الله قبل القرآن، يشهد لهم بصحة ما هم عليه من الشرك، أو الإتيان ببقيةٍ من علم الأولين إنْ لم يكن لهم كتاب، وهذا الأمر تبكيت لهم وإظهار لعجزهم وقصورهم عن الإتيان بذلك، وتبكيتهم عن ذلك الإتيان لإلزامهم بعد ذلك بالحجة، ويظهر ضلالهم، وهو-سُبْحَانَهُ- عليمٌ بنفي العلم عنهم، فلا كتاب ولا برهان لديهم، حتى لا يبقى بعد هذا التبكيت والتقريع لهم أدنى شك بجهالة عقولهم، وبيان تعنتهم وتكبرهم.

٦- خروج الأمر إلى معنى السُّخرية والاستهزاء:

يفيدُ الأمرُ-علاوةً على ما هو عليه من الاستعلاء والإلزام- السخريةَ والاستهزاء، أي: الإهانة والتحقير للمأمورين، وذلك عِنْدَما يكون المخاطَبُ قليلَ الشأن في نفس الآمر، مع عدم المبالاة به، لذا لا يُحملُ على ظاهره؛ لأنَّه يخالف ما في نفس الآمر بالفعل، فمثلاً قول الكفار للنبي-ﷺ- في سورة(يونس-عليه السلام-) يُخبرُ اللهُ-تعالى- عنهم: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ**﴾[يونس:١٥]، نجد أنَّهم لَمَّا سمعوا ما عاظَهم فيما تلاه عليهم من القرآن من ذمّ عبادةِ الأوثانِ والوعيد الشديد لمن عبدها، طلبوا منه أحد الأمرين: إمَّا الإتيان بغير هذا القرآن مع بقائه على حاله، أو تبديله على ما يوافق هواهم ويلائم غرضهم، مع

علمهم أنَّه لا يستطيع أن يأتيَ بشيءٍ من عِنْده، ولا يخفى على القارئ أنَّ هذا محطّ الاستهزاء والسخرية منهم بالنَّبِيِّ-ﷺ- وبكتاب الله-عَزَّ وَجَلَّ-.

٧- خروج الأمر إلى معنى التوبيخ والتقريع:

مرَّ بنا أنَّ التوبيخَ والتقريعَ يكونانِ في مقام التأنيب والتعنيف مع الإيجاع باللوم، ومن هذه المشاهد العصيبة ما نجده في موقف من مواقف وأهوال يوم القيامة، كما هو المُشاهَدُ في قوله-تعالى-:﴿**انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ**﴾[المرسلات:٢٩-٣١]، فالفعل(**انْطَلِقُوا**) في الموضعين يصور حال سكان جهنَّم، وكيف هم بادون فيها من ضنك وعذاب، وفوق ذلك كله يُؤمرون بأمرٍ فيُقال لهم:﴿**انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ في الدنيا، يقول لهم ذلك خزنةُ جهنَّم توبيخاً وتقريعاً، أي: سيروا إليه من العذاب، وهو عذاب النَّار، ثم بعد ذلك يكرر الفعل ليفيد التأكيد، مما يزيد الأمر سوءاً بهم وإهانة عليهم، وليكون التقدير: هذا جزاء ما كنتم تزرعونه في الدنيا فاحصدوا ما غنمتموه، وهو حصب جهنَّم وجحيمها.

٨- خروج الأمر إلى معنى الوعيد والتهديد:

يُفهمُ من فعل الأمر الوعيد والتهديد إذا كان الآمر به غير راض عن الفعل المأمور به، وكان في الامتثال للأمر ما يعود بالضرر على المخاطبين، كما هو واضح في قوله-تعالى-:﴿**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[الأنعام:١٣٥]، فالمتأمل للآية بمجموع سياقها العام يجد أنَّ فيها تخويفاً؛ لاحتوائها على الوعيد والتهديد الشديد، وخاصة إذا نظرنا إلى الفعل(**اعْمَلُوا**)، وما في معناه داخل هذا السياق العام، لوجدنا التطابق واضحاً فيما قدَّمنا من حدِّ التهديد والوعيد؛ والمقصود من هذا الأمر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزَّجر عمَّا هم عليه، فهو كقوله:﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾[فصلت:٤٠]، فالآية كلها توحي بالتهديد والوعيد مما لا يقادر قدره ولا ينقطع نظيره، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد؛ كأنَّ المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عليه، فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه.

ومن التهديد والوعيد ما ورد في قصة نبيِّ الله شعيب-عليه السلام-، وذلك في قوله-تعالى-:﴿**وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ**

﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[الأعراف:٨٧]، فورود الفعل (**اصْبِرُوا**) هنا من باب التهديد والوعيد الشديد لهم، وليس من باب الأمر بالصبر على الكفر، وحكم الله بين الفريقين هو نصر المحقين على المبطلين، ومثله قوله-تعالى-:﴿**فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ**﴾[التوبة:٥٢].

الثاني- النهي:

النهي من أقسام الإنْشَاء الطلبي، ومعناه: (**طلبُ الكَفِّ عن الفعلِ أو الامتناعِ عنهُ على وَجْهِ الاستعلاءِ والإلزامِ، ولا يتحقَّقُ ذلك إلَّا إذا كان النَّهي صادراً من رُتبةٍ عُليا إلى رُتبةٍ دُنيا، وله صيغةٌ واحدةٌ، هي: الفعلُ المضارعُ المقترنُ بـ(لا) النَّاهية**).

أغراض النهي البلاغية:

لم يكن للأمر وحده النصيب الأوفر في احتوائه على الأغراض البلاغية، بل شَاطَرَهُ النَّصيب النهي بصيغته الوحيدة المشهورة، فقد كَثُرتْ أمثلةُ خروج النهي إلى أغراضٍ بلاغيةٍ تُفهمُ من السياق وقرائن الأحوال، وهي غنيةٌ بالمعَاني النفسية التي لها دورُها البارزُ في الخطاب بين المتحاورين، وهذه المعَاني تتجسَّد فيما يأتي:

١- خروج النهي إلى معنى الدُّعَاء:

ذَكرنا فيما سبق أنَّ معنى الدُّعَاء التضرع والخشوع، وذلك إذا كان الطلبُ-أمراً كان أمْ نهياً- صادراً من رُتبةٍ دُنيا إلى رُتبةٍ عُليا، ومن أبرز هذه الأمثلة، ما جاء في نهاية سورة(البقرة) المباركة، إذ علَّمنا-جلَّ جلالُهُ- كيفية الدُّعَاء في محكم قوله: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا**﴾[البقرة:٢٨٦]، أي: لا تؤاخذنا بإثم ما يصدر منَّا من هذين الأمرين، وهذا تعليمٌ من الله-تعالى- لعبادِهِ كيفية الدُّعَاء، وهو غايةُ الكرم؛ حيثُ يُعلِّمُهُم الطلبَ ليعطيهُم المطلوب، إذاً فالمقام هنا مقام تضرُّع وخُضوع.

وفي سورة (نوح-عليه السلام-) نجد ثلاثة مواضع فيها دعاءٌ بطريق النهي، في قوله-تعالى-: ﴿**وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً**-٢٤﴾، وفي قوله-سُبْحَانَهُ-: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**-٢٦﴾، وفي الثالثة قال-جَلَّ جَلَالُهُ-: ﴿**وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً**-٢٨﴾، فهذه ثلاثة مواضع من مواضع دعاء نبيِّ الله نوح-عليه السلام- على عُصاةِ قومِهِ، جاءت كلها بصيغة النهي، وهذا دعاءٌ عليهم، فبعد أنْ أَعْلَمَهُ اللهُ:﴿ **أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾[هود:٣٦]، دعا عليهم بالهلاك، فأجابَ اللهُ دعوتَه، فأُهلكوا وغرق معهم صبيانُهم أيضاً، لكن

لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم، بإراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعزَّ عليهم من أنفسهم... وقد يشمل دعاؤه هذا كلَّ ظالمٍ إلى يوم القيامة، كما شمل دعاؤه كلَّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ إلى يوم القيامة، وممَّا يزيدُ ذلك إعجازاً وبلاغةً إتيانُ آية سورة (البقرة) وآيات سورة (نوح) في مسكِ الختام من السورتين السَّابقتين، مع تعاضد الأمر بعد النهي والعكس، فيا لها من بلاغة! ويا لها من مناسبة! تتحير فيها عقول ذوي الألباب، ويشيب لأجلها الولدان والأحباب.

٢- خروج النهي إلى معنى التعظيم والتفظيع:

إذا كان المقامُ مقامَ تصويرِ أهوالِ القيامة والنَّار وجحيمها ونحو ذلك فإنَّ النهي حينئذٍ يبرز دورُهُ في إشعال نار التعظيم والتخويف مناسبة للمقام، من ذلك قوله-تعالى-: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾[البقرة:١١٩]، حملاً على قراءة نافع: ﴿**وَلا تَسْأَلْ**﴾ بالنهي وجزم المضارع، والمعنى: ولا يصدر منك السؤال عن هؤلاء وعمَّن مات منهم على كفره ومعصيته، تعظيماً لحاله وتغليظاً لشأنه، أي: إنَّ هذا أمرٌ فظيعٌ وخطبٌ شنيعٌ، يتعاظمُ المتكلم أن يجري على لسانه، ويتعاظم السمعُ أن يسمعَه... والمعنى: وَلا **تَسْأَلْ** عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فإنَّها شنيعةٌ، ولا يمكنُك في هذه الدار الاطلاع عليها، كما تقول لشخصٍ: (لا تسألْ عن فُلانٍ وقاكَ اللهُ شرَّ ما أُصيبَ به)، تريد أنَّ فُلاناً هذا قد ألَمَّتْ به الشدائدُ وأحاطت به المصائبُ التي لا تُوصفُ لواصفٍ؛ لشدتها وعظم هولها وفظاعتِها.

٣- خروج النهي إلى معنى التهكم والاستهزاء:

يفيد النهي معنى التهكم والاستهزاء إذا كان في مطلوبه غاية الحطِّ والإهانة من شأن المخاطَب، وكان في نفسه واقعاً به حقًّا لا يُمكِنُهُ الفكاك من أسره، من ذلك ما جاء في قوله-سُبْحَانَهُ- في مطلع سورة(النَّحل)-:﴿ **أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿١﴾﴾، فأمْرُ اللهِ هنا يُرادُ به أحدُ ثلاثة: إمَّا قيام السَّاعة أو العذاب، أو بعثة النَّبي-ﷺ-، ثم

أُعيد الضمير عليه بصيغة النهي:﴿ **فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ** ﴾، مُراداً به قيام الساعة والعذاب، ومبتغانا هنا الفائدة التي حملها النهي في هذه الصورة البلاغية، التي هي في سياق قرائن استعجال الكفار ليوم القيامة، إذ كان استعجالهم على طريقة الاستهزاء من دون استعجال على الحقيقة، وفي نهيهم عن الاستعجال تهكمٌ بهم، ومما يزيدُ هذا التهكم والاستهزاء بهم صيغةُ الماضي؛ التي تُفيدُ تحقق وقوع الشيء وكأنَّه حَدَثَ ومَضَى أمرُهُ، وهذا ضربٌ من التهكُّم على استعجالهم لا نهي حقيقة.

ومثلُ هذا النهي نرى في قوله-تعالى-:﴿ **فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ** ﴾[الأنبياء:١٢-١٣]، فهنا يصور لنا القرآنُ الكريمُ حالَةَ الكفار وهم يرون العذاب الأليم مُقبِلاً نحوهم وواقعاً بهم لا محالة، ثم يُنْهَوْنَ عن هذا الركض الذي لا فائدة ولا جدوى من ورائه، استهزاءً بهم وسخريةً، فقد كانوا في نعيمٍ مقيمٍ يسخرون ممَّن آمن من قومهم، فانقلبَ الحالُ بإذن الله-عَزَّ وَجَلَّ- إلى غير ما توقَّعوا، والآن هُمُ الذين يُسخرُ منهم على لسان من ناداهم، مما زادهم عذاباً فوق العذاب المقبل نحوهم، إذ لا نصير ولا معين ينفعُهُم وقتئذٍ؛ فلا مَنْجى ولا ملجأ منه إلا إليه-سُبْحَانَهُ-، نَسُوا اللهَ في الرخاءِ فَنَسِيهُم في الشدَّةِ والضَّرَّاء.

٤- خروج النهي إلى معنى التهديد والوعيد:

يُفهم التهديدُ والوعيدُ إذا كان المقامُ مقامَ عدمِ الرضى عن الفعل، ففي قوله-تعالى-: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾[آل عمران:١٥٦]، نهي فيه تهديدٌ للمُخاطَبين، أي: لا تكونوا مثل المنافقين المذكورين في تنفير المؤمنين عن الجهاد، أو وعيد للذين كفروا، واللفظ عام شامل لقولهم المذكور ولِمَنشئِهِ الذي هو اعتقادُهم.

وكذلك في قوله-تعالى-: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ** ﴾[هود:١١٣]، فالله-سُبْحَانَهُ وتعالى- هنا يأمر رسولَهُ وعبادَهُ المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، ويهدد ويتوعَّد مَنْ يركن إلى الظلمة من المشركين وغيرهم، عن طريق النهي، ويؤكد هذا التهديد قوله-جلَّ اسمه-:﴿ **فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ** ﴾، مما يزيد حرارة الوعيد والتهديد إلى ما لا نهاية، وإن كان هذا الميل مجرَّد الرضا عنهم بالقلب، نسألُ الله-تعالى- العافية.

الثالث- الاستفهام:

يُعَدُّ الاستفهامُ من أكثر الأساليب الإنْشَائيّة استعمالاً في القرآن الكريم واللسان العربي، لذلك ازداد اعتناءُ العلماء به كثيراً وأَوْلَوْهُ العنايةَ الفائقة، ذاكرينَ أنَّ الاستفهامَ يُفيدُ زيادةً على معناه الحقيقي-الذي (**هو طلبُ العلمِ بشيءٍ لم يكنْ مَعلُوماً لدى السَّائلِ مِنْ قبلُ، أو طلبُ خَبَرِ ما ليسَ عِنْدَكَ**)- مَعَانٍ بلاغية أُخرى، تُضفي على التعبير البَيَاني مزيداً من السحر والجمال، وتُعطي الكلام حيويّة، وتزيد من الإقناع والتأثير به، فتثير السامعَ وتجذب انتباهَه، وهذه المَعَاني يستخرجها الفطنُ بمعونةِ السياق وقرينة الحال.

أغراضُ الاستفهام البلاغية:

مِمَّا مرَّ يُفهمُ أنَّ الاستفهامَ هو ما يُطلبُ به معرفة المستفهم للمجهل به، لكنَّنا نجدُ أنَّ أساليبَ الاستفهام لا تَصْبُّ دائماً في هذا النَّهر، ولا سيما في كتاب الله-تعالى-؛ لأنَّه-سُبْحَانَهُ- مُنَزَّهٌ عن أن يسألَ سُؤالاً على المعنى الحقيقي للاستفهام؛ فهذا يستلزمُ الجهل بالمسؤول عنه، و-سُبْحَانَهُ وتعالى- عالمٌ بكلِّ شيءٍ لا تخفى عليه خافية، وما ورد في القرآن الكريم من سؤال حقيقي- وهو قليل جداً- جاء محكيّاً عن غيره-تعالى-، والذي سنراه أنَّ الهمزة كان لها الحظ الأوفر في الاستعمال القرآني وكثرة المَعَاني البلاغية التي دارت في رحاها؛ وذلك لخفتها على اللسان والآذان معاً، فضلاً عن أنَّها تصلح لأن يُسأل بها عن مضمون الجملة وعن مفرداتها، وأنَّها تدخل على الأفعال والأسماء والحروف وأدوات الشرط، ويُسأل بها عن متعلقات الفعل، ومن ثم يأتي